12me Année No. 558

Lundi - 13 - 3 - 1944

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٥٥٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٨ ربيع أول سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٣ مارس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

٢٢١ دفاع عن البلاغة ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٢٢٣ الحديث ذو شجون .. ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
٢٢٥ محاورات الموتى . . . .. { الكاتب الفرنسى برنار بوفيه بقلم الأديب يوسف روشا
٢٢٧ مرسلات مع الريح : ... « ياعدوى » .. . . .. { الأستاذ إسماعيل مظهر ...
٢٢٩ الجمعية الملكية ... ... : الأستاذ خيل السالم ...
٢٣١ منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها . . .. { الأستاذ سعيد الديوه جى ...
٢٣٣ فى « مجموع رسائل الجاحظ » : الأستاذ محمد طه الحاجرى
٢٣٦ قتل الأديب . . .. : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى
٢٣٧ (١) أقاصيص من القهوة .. (٢) شطب قلب ... . . { الأستاذ درينى خشبة . ..
٢٣٨ أبطال الاسلام ... .. : الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٢٣٩ الشعر الجديد .. . . .. : الأستاذ الكبير (ا . ع)
٢٣٩ من الفلك القديم . . . . : الأستاذ قدرى حافظ طوقان

١٦ ـ دفاع عن البلاغة

٨ ـ الأسلوب

كان سيد البلغاء محمد بن عبد الله (ص) يكره أن يجاوز الكلام مقدار القصد به ؛ فقد تكلم رجل عنده فأطال ، فقال له : « كم دون لسانك من حجاب ؟ قال : شفتاى وأسنانى . فقال له الرسول : إن الله يكره الانبعاق[1] فى الكلام . فنضَّر الله وجه رجل أوجز فى كلامه واقتصر على حاجته »

وقيل لإياس : « لا عيب فيك إلا أنك تطيل . قال : أخَيرًا تسمعون أم شراً ؟ قالوا : خيراً . قال : فالزيادة فى الخير خير . روى ذلك الجاحظ وعقب عليه بقوله : « وليس الأمر كما قال إياس ؛ فإن للكلام غاية ، ولنشاط السامعين نهاية . وما فَضَل عن مقدار الاحتمال ، ودعا إلى الاستثقال والملال ، فذلك الفاضل هو الهَذَر ، وهو الخطل ، وهو الإسهاب الذى سمعت الحكماء يعيبونه »[2]

وكان أمراء النثر العربى من أمثال جعفر بن يحيى وسهل ابن هرون يتوخون جانب القصد ، ويؤثرون طريق الإيجاز ؛ حتى قال جعفر للكتّاب : « إن استطعتم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعات فافعلوا » . والتوقيعات ما يعلقه الخليفة أو الوزير

(١) الانبعاق فى الكلام : الاندفاع فيه . (٢) البيان والتبيين ص ١٠٦

أو الرئيس على ما يقدم إليه من الكتب فى شكوى حال أو طلب نوال . وهى تجرى مجرىَ الأمثال فى الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة . مثل ذلك ما وقّع به المأمون إلى الرستمى فى قضية من تظلم منه : « ليس من المروءة أن تكون آنيتك من ذهب وفضة وغريمك خاوٍ وجارك طاوٍ » . وما وقع به جعفر فى كتاب رجل شكا إليه بعض عماله : « قد كثّر شاكوك ، وقلّ شاكروك ، فإما اعتدلت ، وإما اعتزلت »

كذلك كان أقطاب النثر الفرنسى من أشباه (شاتبريان) و (فلوبير) يتشددون فى الإيجاز ، ولا يتسمحون فى الإعادة ، حتى حرّموا على أنفسهم استعمال اللفظ مرتين فى صفحة واحدة. وقد أخذ (فلوبير) فى إحدى رسائله على (شاتبريان) أنه كرر لفظاً مرتين فى وصفه قدوم (أودور) إلى روما فى كتابه « الشهداء » . ومن كلام (بوالو) : يجب أن تعرف كيف توجز ، لتعرف كيف تكتب . وتفور نوابغ الكتاب من الإسهاب منشؤه فيهم تلك القوة البلاغية الإلهية التى تحدد الغاية وتريد أن تبلغها من أخصر طريق . فهم لا يلغون لأنهم يعلمون المعنى الذى يفيد ، ولا يحشون لأنهم يعرفون اللفظ الذى يدل ، ولا يخبطون لأنهم يبصرون الأمد الذى يُرام . أما الذ لا يقدّرون ما يقولون ، أو لا يدرون أين يقصدون ، فهم الهائم على وجه المنحدر قصاراه زَبَدٌ وجَرجَرة ، أو كاللسان ببول نطقه لغطٌ وثرثرة . وثرثرة اللسان كقرقرة البطن أصوات تذهب مع الريح !

والإيجاز فى بلاغة العربية كما قلنا أصل وروح وطبع ، ولكنه فى البلغاء قوة وروية وعمل . وتريد بالعمل الجهد ، لأن الإيجاز غربلة ونخلٌ ، وتنقية وتصفية ، وتصعيد وتركيز . وذلك لا يتهيأ لك إلا بدوام النظر وطول التعهد . ومهما قلبت الجملة على وجوه البيان فإنك لا محالة واجد فيها عوجاً يُعدّل ، أو نتوءا يسوّى ، أو فضولاً يُشذّب . والنثر فى رأى فلوبير لم ينته ، وهو فى رأينا لا يمكن أن ينتهى ، لأن صور الجمال لا تنفد ، وغاية الكمال لا تُدرك.

والمزية الظاهرة للإيجاز على الإطناب أنه يزيد فى دلالة الكلام من طريق الإيحاء . ذلك لأنه يترك على أطراف المعانى ظلالاً خفيفة يشتغل بها الذهن ، ويعمل فيها الخيال ، حتى تبرز وتتلوّن وتتسع ، ثم تتشعب إلى معان أخر يتحملها اللفظ بالتفسير أو بالتأويل ، والقرآن الكريم معجزة الدهر فى هذا الصدد

وليس بسبيل الإيجاز البلاغى من يقص أجنحة الخيال ويطفىء ألوان الحسن ، ويترك أسلوبه كأسلوب التلغراف ، شديد الاقتضاب والجفاف ، على نحو ما يدعو إليه بعض أدبائنا المعاصرين ؛ فإن الإيجاز ، مهما قيل فى جلالة خطره ، صفةٌ من صفات البلاغة الثلاث لا يغنى عنها ولا تغنى عنه

ولقد كان لإطناب الفرس مساغ فى أذواق العرب أوّل ما قطَرت به أقلام عبد الحميد وابن المقفع والحسن بن سهل ومن لفّ لفّهم ، لاقتصارهم منه على ما يصحح الازدواج ويقيم التوازن ، كقول عبد الحميد : « واعلم أن كل أهوائك لك عدو يحاول هلكتك ، ويفترص غفلتك ، لأنها خُدع إبليس ، وخواتل مكره ، ومصايد مكيدته ، فاحذرها مجانباً لها ، وتوقّها محترساً منها ...الخ» . فلما اشتد خلاط العرب للفرس تداخلت اللغتان ، وتمازجت المقلتان ، وأصبح تعاقب الجمل على المعنى الواحد سمةَ الأسلوب فى ذلك العصر ، حتى قال ابن قتيبة فى قول يزيد لمروان وقد تلكأ فى بيعته : [أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فاعتمد على أيهما شئت] : « إن هذا لو قيل الآن لم يأت بالتأثير المطلوب . والصواب أن يطيل ويكرر ، ويعيد ويُبدئ ، ويحذّر وينذر »

وظل الفن الكتابى يتخبط فى ذلك الفضول ، ويتعثر فى تلك الذيول ، لا يسدده توجيه ، ولا يهذبه نقد ، حتى اتصل بالأدب الأوربى فى هذا العصر ، فتجدد لفظه ، وتجدد أسلوبه ، وانبعث شبابه الفتىّ الغض من القرائح الموهوبة ، سافى الديباجة مشرق البيان ، إلا عقابيلَ مما تركت عصور الضعف والجهالة بقيت على الأقلام المرضوضة تكريراً للّفظ ، وترديداً للمعنى ، وتوليداً للنوع آخر من أنواع الاجترار الأدبى يعبر عنه الأديب زكريا إبراهيم فيما كتب إلىّ بقوله :

« شاع بين أدبائنا اليوم نوع جديد من الأدب ، نستطيع أن نسميه بحق أدب (الدردشة) . وهذا الأدب الجديد يصدر عن نزعات فنية حديثة ، لأنه كلام يقال لمجرد الكلام ،

احمد حسن الزيات

(البقية على صفحة ٢٤٠)